الحزب الشيوعي العراقي في صعوده ونزوله 2-2

جهود لم تطوّر سياسة عراقية مستقلة

عبد الحسين شعبان
بيروت

II

ويرصد طارق اسماعيل العديد من ملفات الحزب وتاريخه العويص، ويتوغّل في مراحله الشائكة والمعقّدة ويتناول المراحل القاسية والشاقة في حياته ودور مناضليه الأوائل وميزاته الوافرة، وخصوصاً في استقطاب المثقفين العراقيين، الذين مرّوا في الأربعينيات والخمسينيات من بواباته أو نوافذه أو بالقرب منها، متأثرين به ومتفاعلين معه، إضافة إلى الدور الذي اضطلع به في التحضير لثورة 14تموز (يوليو) 1958 موضوعياً أو حتى ذاتياً.

ولا ينسى اسماعيل أن يتوقّف عند انشطارات الحزب وأخطائه واندفاعاته ويبحث في ثغرات بعض سياساته وصولاً إلى الردّة الشباطية في العام 1963 والتي أطاحت بغالبية قياداته بضربة خاطفة وبشعارات صاخبة امتحنها الناس خلال الأشهر التسعة فسقطت مضرجة بالدماء والدموع وعشرات الآلاف من الضحايا وسجون مكتظّة ومحاكمات صورية ، وذلك في غفلة من الزمن وبطريقة أقرب إلى المباغتة والحيلة، لاسيّما بضعف اليقظة وعدم تبلور مشروع استراتيجي ناضج .ويعتني الكتاب بالحياة الداخلية للحزب ويرصد على نحو دقيق مظاهر التراجع والشيخوخة والعزلة التي عاشها ويتابع ذلك بشكل خاص في أجواء المنافي وما صاحبها من انتهاكات وتجاوزات مسّت القيم التي كانت الأبرز في تاريخه، ناهيك عن تقهقر سياساته وتذبذباتها، من الجهة الوطنية مع حزب البعث العام 1973 إلى المشاركة في مجلس الحكم الانتقالي بعد الاحتلال الأمريكي للعراق العام 2003.ويعتبر ذلك امتداداً وتدرجاً إلى ما وصل إليه الحزب، حين أدار ظهر المجن وقلب صفحة الماضي المأساوية على نحو مثير ودون مقابل كما يُقال، ورضخ لشروط حزب البعث "الحليف" وقام بتمجيد دوره والترويج لسياساته على المستوى العربي والعالمي، وهو ما تكرّس في المؤتمر الثالث للحزب العام 1976 في حين كانت المؤشرات واضحة ولا تحتاج إلى عناء كبير لفهم أسباب الارتداد الموجودة في جوف النظام، بل وتعيش في أحشائه، إذْ سرعان ما أدّت بالحزب الحاكم وبعد تصفية الحركة الكردية إلى فضّ التحالف بمجمله وليس قص أجنحته بحلّ المنظمات الجماهيرية التابعة للحزب مثل اتحاد الطلبة ورابطة المرأة ومنظمة الشبيبة الديمقراطية وغيرها، بل استبعاد كل لون أو طيف من خارج " الحزب القائد" ومن يدور في فلكه ، بما فيها المنظمات التي ارتضى فيها الحزب الشيوعي العمل فيها تحت هيمنة حزب البعث وتوجيهاته، مثل مجلس السلم ونقابة الصحفيين واتحاد الأدباء وغيرها من المنظمات التي كان للحزب الشيوعي نفوذ كبير فيها.

وكانت صيغة الجبهة الوطنية قد اشترطت قيادة البعث للجبهة والسلطة باعتباره يلعب دوراً متميزاً، وهو الذي قاد "ثورة" 30-17 تموز (يوليو) 1968 التقدمية"، مثلما اشترط حلّ تنظيمات الحزب بالجيش واعتُبر لاحقاً من يُكتشف بالعمل في القوات المسلحة أو القوات الأمنية بجميع صنوفها، يكون مصيره الإعدام، بل إن من لم يبلّغ عن انتماءات سابقة له يندرج ضمن مواد عقابية غليظة شرّعت لهذا الغرض دون اعتراض يُذكر، وهو أقرب إلى إصدار حكم مسبق بحق أعضاء في القاعدة أو أصدقاء الحزب غامرت بقبوله قيادة الحزب، وقد أقدمت الحكومة العراقية على تفعليه بإحالة العديد من المتهمين من أصدقاء الحزب إلى "محكمة الثورة" التي أصدرت حكمها بإعدام نحو 30 عسكرياً بتهمة انتماءاتهم الشيوعية وتم تنفيذ الحكم بهم في ربيع العام 1978.ويتناول اسماعيل كيف مرّت عاصفة التصفيات للحركة السياسية العراقية في ظل وجود الجبهة الوطنية، سواء ضد رفاق الأمس " القيادة المركزية" أو ضد القوى القومية العربية وبعضها من حلفاء الحزب، ولاحقاً ضد الحركة الكردية، لدرجة أن الحزب حمل السلاح مع البعث لملاحقة "الجيب العميل"، وهو ما كان يروّج له الإعلام الرسمي، حيث ازداد التوتر بين البعث والحركة الكردية ، ودفع الشيوعيون الثمن أيضاً حين أقدم عيسى سوار، وليس بمعزل عن توجيهات قيادة الحزب الديمقراطي الكردستاني (حدك) آنذاك، باختطاف 12 شيوعياً كانوا قادمين من الخارج وقتلهم، وهو الأمر الذي تكرّر في الصراعات الكردية–الكردية، والتي ما كان للحزب الشيوعي الانخراط فيها، إلّا أن أوضاعه الداخلية وانحيازات بعض قياداته الكردية لهذه المجموعة أو تلك حمّلته المزيد من الكوارث، وكان من أبرزها مجزرة بشتاشان ضد الأنصار الشيوعيين التي راح ضحيتها عشرات منهم في أيار (مايو) العام 1983 على يد الاتحاد الوطني الكردستاني (أوك) .

ويتناول أسماعيل مرحلة ما بعد اندلاع الحرب العراقية –الإيرانية 1980-1988 والموقف المتخبّط للحزب الشيوعي منها ومماثلة لإيران ويسلّط الضوء على وثائق وتفاصيل مهمة، فيما يتعلّق بالموقف من الحرب وتطوراتها وفيما بعد في الموقف من الحصار الدولي عقب غزو القوات العراقية للكويت في 2آب (أغسطس) 1990وما بعدها ولغاية العام .2003

وقد تكون تلك المرحلة جزءًا من التصدع الأيديولوجي والتيه السياسي التي مرّ بها الحزب والذي تحوّل إلى نوع التخبّط والغبش الأيديولوجي بعد الاحتلال الأمريكي ، خصوصاً مشاركته بمجلس الحكم الانتقالي، والتي مثّلت ضياعاً حقيقياً وتبدلاً في استراتيجيات الحزب "المناضل الأكثر جذرية" ضد الإمبريالية وضد أحلافها العسكرية العدوانية ومعاهداتها الاسترقاقية المذلّة، وإذا به يقبل بدستور طائفي – إثني ويروّج له ويعتبر اتفاقية التعاون الاستراتيجي مع الولايات المتحدة الأمريكية " أحسن الحلول السيئة" في تعبيرات ملطّفة ومخففة عن عمق ما أصاب العراق من دمار وخراب هدّم أركاناً أساسية من الدولة العراقية، خصوصاً بحلّ الجيش والقوى الأمنية وتعريض البلاد للفوضى والإرهاب، وهو ما يدعو إلى السخرية السوداء أو المرّة، تلك التي وصفها الشاعر أكتافيو باث بأنها " تنحدر بالآلهة من عليائها السماوي إلى الأرض وتنتقل بالنص المقدس إلى خارج المعبد"، وهو بتقديري المشهد الأكثر درامية في الوضع العراقي برمته، والذي كان على الحزب الشيوعي وتاريخه عدم الانخراط فيه.

III

حين صدر كتاب طارق اسماعيل The raise and fall of the communist party of Iraq"في العام 2007 عن مطبعة كامبريدج في نيويورك لم أطّلع عليه إلّا في العام 2010 حيث أهداني نسخة منه، ولم أستطع قراءته في حينها لأنه يحتاج إلى تفرّغ لبضعة أسابيع لم يكن لديّ الوقت لأخصّصها له، لأنني كنت أقضي ما تبقى لي من خدمة جامعية في جامعة صلاح الدين (كلية القانون والسياسة– إربيل)، لكنني قرأت عنه ملخصاً باللغة الإنكليزية، واكتفيت حينها بقراءة بعض الفقرات من الكتاب تلك التي كنت أودّ الاطلاع على رأيه فيها، وبعد حين عثرت على تقريظ له باللغة العربية قدّمه الصديق حسقيل قوجمان ونشره في موقع الحوار المتمدن، ويعيد طارق اسماعيل نشره كملحق لهذا الكتاب.

وقد أراد "قوجمان" من الكاتب تدوين ما حدث دون أن ينظر إلى رأي الكاتب بما حدث، وهو أمر لا يمكن للكاتب ألّا يكون له رأي بعد أن ينشر بأمانة ما حدث ، ثم يعطي تقييمه فهو ليس مُدوِّن للوقائع فحسب، بل يحاول تحليلها من منظور سسيولوجي وثقافي بإخضاعها لسياقها التاريخي مشخصاً إيجابياتها وسلبياتها، علماً بأن الموضوعية لا تعني الابتعاد عن تقديم رؤية وتحليل، لأنه حتى اختيار ما حدث سيكون انتقائياً، حيث سيدخل رأي الكاتب في هذا الاختيار ويمكن ذكر حوادث مهمة ببضعة أسطر، وتضخيم حوادث عابرة بنشر عشرات الصفحات عنها، بما يتعلّق بمزاج الكاتب ومنهجه والغرض من النشر ، وبعض هذا الميل والهوى قاد "مؤرخاً" في تاريخ الحزب لتناول ذلك حسب ارتياحاته ووجهات نظره ومواقفه فعظّم بعضها وهمّش بعضها الآخر.

IV

يمكن القول إنه لا يمكن لتاريخ الحزب الشيوعي العراقي أن يدونه شخص واحد ولا حتى مجموعة أو مجاميع من الباحثين، لأنه سيكون تاريخاً مفتوحاً وتتعدّد وتتنوّع القراءات وزوايا النظر إليها، إضافة إلى اختلاف المرجعيات والمناهج ودرجة الوعي والثقافة والمعرفة بين هذا وذاك.وبهذا المعنى ليس للتاريخ قول فصل لا يقبل الجدل أو التفسير أو التأويل، لأن ذلك ضد منهج النقد التاريخي الجدلي وضد منطق الحياة، وتلك المهمة ستكون فوق قدرات أي إنسان، ناهيك عن أنها فوق مهمة البحث العلمي التي لا تقبل إلّا بالتعدّد والتنوّع والتمايز والتميّز والاختلاف، ومع ذلك يمكنني القول إن كتاب طارق اسماعيل هو الكتاب الأكثر شمولية وعمقاً من غيره والأبعد عن الهوى والانحياز ، خصوصاً بما امتاز به من منهج أكاديمي ومصادر غنية ومعرفة معمّقة بطبيعة المجتمع العراقي، ولعل مقاومة الانحياز والرأي المسبق مهمة في غاية الصعوبة، لكن

غلاف الكتاب

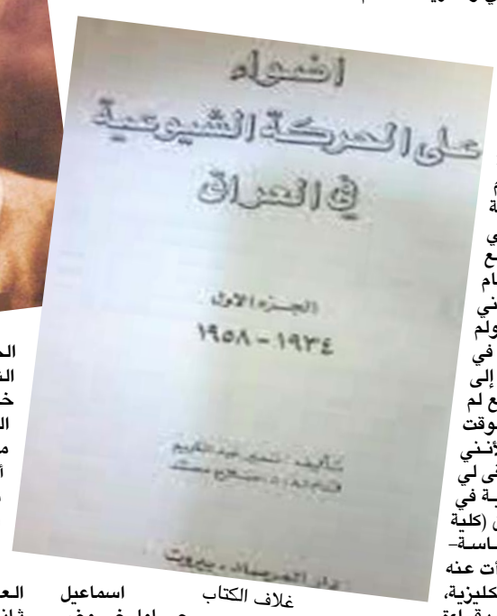

غلاف الكتاب

وقرّر حسب مقدمته ضمّ هذا البحث إلى الكتاب كملحق أساسي من ملاحقه. وهنا بودي أن أسجل للصديق حسقيل قوجمان ملاحظته التي سبقني إليها وهي أنه كان يمكن تخصيص فقرة عن "حزب التحرّر الوطني" و"عصبة مكافحة الصهيونية" اللذان أنشئا العام 1946 لأنهما يمثّلان جزءًا من تاريخ الحركة الشيوعية، خصوصاً ملابسات عدم إجازة الحزب ونشاطات العصبة المهمة في مكافحة الصهيونية وفضح أساليبها، وقد جئت على بعض تلك الإشكالات في كتابي الموسوم " سعد صالح – الضوء والظل: الوسطية والفرصة الضائعة" الصادر في بيروت عن الدار العربية للعلوم – 2009 وفي طبعة ثانية عن دار الشؤون الثقافية، بغداد ، 2012.

وإذا كانت كتابات زكي وسعاد خيري تمثل رؤيتهما الخاصة لتاريخ الحزب وخصوصاً "دراسات في تاريخ الحزب الشيوعي العراقي" (1984) وكتابات عزيز سباهي المكلف من قيادة الحزب في العام 1999 تمثل هي الأخرى جزءًا من تاريخ الحزب والموسومة " عقود من تاريخ الحزب الشيوعي العراقي "، فإنها وإن كانت قريبة من التوجهات الرسمية للحزب، لكنها تمثل رؤية خاصة تمثل أصحابها وتبقى القراءة مفتوحة ومتعددة من روافد مختلفة لتحمل تفسيرات وتأويلات واستنتاجات مختلفة أيضاً، بما فيها رؤية القيادة المركزية لتاريخ الحزب ورؤية حركة المنبر الشيوعية له، إضافة إلى كتل وتجمعات أخرى .

وإذا كانت هذه الرؤية من ذات الإطار، فهناك رؤى أخرى بعضها حاول تقديم قراءة لتاريخ الحزب من منظورها السلبي ومن داخل الأجهزة الأمنية الأيديولوجية للأنظمة الحاكمة في صراعها مع تاريخ الحركة الشيوعية، منها مديرية التحقيقات الجنائية (موسوعة سرية خاصة بالحزب الشيوعي العراقي) العام 1950 و"أضواء على تاريخ الحركة الشيوعية في العراق" (5أجزاء) لمؤلفه المجهول سمير عبد الكريم الصادر عن دار "المرصاد" الوهمية، قبرص، 1979.

V

في الختام أقول لقد قرأ طارق اسماعيل مذكرات الشيوعيين وسردياتهم التاريخية واختلافاتهم وخصوماتهم، لكن تقييمه جاء لبرنامجهم الذي يمتازون به عن غيرهم بدفاعهم عن الغالبية العظمى من الشعب، بما يملكوه من طاقة والتزام وبما حاولوا وضعه من حلول ومعالجات، الأمر الذي أثّر على جميع التشكيلات التي أعقبتهم، وهو ما دعاه ليقول عنهم أنهم كانوا طليعة النضال، لكن الوقائع التي لديه والاستنتاجات التي توصل إليها دعته للقول أنهم أصبحوا في مؤخرة الانتهازية والمقصود بذلك بعد تقهقرهم، فبعد أن كان لهم الدور الأبرز في وثبة كانون العام 1948والدور المحوري في انتفاضة تشرين الثاني العام 1952 والدور الأكثر تميّزاً في انتفاضة العام 1956انتصاراً للشقيقة مصر وضد العدوان الثلاثي والدور الفعّال في التحضير لثورة تموز (يوليو) العام 1958 إلا أن أخطاء السياسة وتذبذباتها وخصوصاً إثر الضربة الموجعة التي تعرّضوا لها في العام 1963جعلتهم يتراجعون على نحو ملفت في مسلسل للتدهور انتهى بتقسيم الحزب قومياً إلى حزبين عراقي وكردستاني، في حين يتغنى برفعه راية الأممية عالياً.ويُرجع اسماعيل تراجع دور الحزب الشيوعي إلى اعتماده الكبير على الاتحاد السوفييتي وفقدانه المماثل لهويّته كحزب عراقي " وحسبما يقول " أصبح تأثير كلاً من المصالح السوفييتية الأيديولوجية والسياسية على حد سواء، واضحاً في سياسة الحزب وممارساته" ويعتقد أن هذه المواقف تعاظمت بعد مجزرة العام 1963 وفي نهاية المطاف أدت إلى ظهور، جناحين أيديولوجيين متنافسين في العام 1967 وينقل رأياً لعزيز الحاج أمين عام حزب القيادة الذي تخلّى عن معتقداته وأطروحاته بُعيد اعتقاله، مفاده أن فشل تجربة القيادة المركزية بسبب أخطائها من جهة وتوحّد خصومها الذين نجحوا في القضاء عليها من جهة ثانية.

ومن استنتاجاته فشل الحزب في تطوير ثقافة سياسية مستقلة على المستويين الفكري والتنظيمي وخضوعه للأجهزة الخارجية السوفييتية وتمركز السلطة بيد السكرتير العام والمكتب السياسي واعتماد السياسة من القمة إلى القاع تلك التي أنتجت إحباطات وانشقاقات.ويتابع طارق الانقسامات فيعتبر القسم المتبقي من الحزب "خاضعاً للقسم الكردي" في جزء من " المظاهر العرقية والطائفية والقبلية" وكأنها انعكاسات للمجتمع العراقي.

إن كتاب طارق اسماعيل جهد أكاديمي متميّز وإضافة نوعية جديدة إلى المكتبة الماركسية العربية وإلى الدراسات التاريخية السسيولوجية الثقافية للفكر السياسي العراقي ولتاريخ الدولة العراقية، وأجد في قراءته جدوى مهمة لكل باحث وطالب معرفة لتاريخ الحركة الشيوعية .

□ أكاديمي ومفكر عربي من العراق

الأرض بنت السماء

النفس كتلة من الهواء المجاني يعيش عليه البشر والبقر والشجر..
لكن الانسان بياع شراي بالفطرة..فابتدع هواء باردا في الصيف.حارا في الشتاء ووضع تسعيرة للهواء..
فلم يعد.التنفس مجاناً..
وكان الانسان يأكل ما تأكل الانعام لكنه اكتشف النار وتطورت وسا ئل الوقود.فمن الحطب الى ماء يشتعل اسماه العرب ..النفط..
وطور الهواء فصاروقودا اسمه الغاز..وهو على الكلفة والثمن.
المتنبي اكتشف هذا القانون ووضعه في بيت من شعره..
كلما أنبت الزمان قناة.
ركب المرء في القناة سنانا.
الحروب العالمية الاخيرة اشعلها الصراع على الوقود..
وقداكرم الله هذه الامة وجعل باطن الارض تموج بالذهب الاصفر والاسود.وخص ارض العرب المحرومة من مطر السماء غنية بامطار تشتعل تنزل من الارض .
ماذا يريد العرب من ربهم .الذي انزل لهم القران.نظاما للحياة ومابعدها.وانزل لهم المطر لينبت صحراءهم القاحلة.
ان القران هو كتاب التمدن العربي الاول .
وهو خزانة الهية لحفظ لغة العرب وتطوير حياتهم من البداوة الى التحضر. لهذا فمن يتنكر للقران هم ناكرو الفضل الالهي على هذه الامة.
وهم الجهلة الذين لا يعرفون ان السماء في الاعالي فوبخهم الله بقوله..
الم ينظروا الى السماء فوقهم.
الارض بنت السماء.بغض النظر عن الايمان والالحاد.

حسن العلوي
بيروت

سنجار المدينة التي إنهارت عند أسوارها الحضارة

أطلقت الامارات العربية المتحدة مسبارا الى المريخ في سابقة علمية فضائية تسجل لها وهي تكسر قيود التاريخ كما اطلق عليها الكاتب حسن إسميك في مقالة (في سيرة المدن التي كسرت قيد التاريخ: "أبو ظبي نموذجا) والذي تحدث فيه عن التطور الكبير الذي شهدته الإمارات العربية المتحدة وذروته في إطلاق مسبار إلى المريخ، وقد اعادني الحدث والمقال قليلا إلى التاريخ غير المقروء بل المشهود، وتحديدا منذ تأسس هذا الاتحاد الفيدرالي الاختياري بين إمارات مترامية ومشتتة هنا وهناك قبل نصف قرن، وبقيادة رجل حكيم لم يتخرج من جامعة أكسفورد أو من أكاديمية ساندهيرست العسكرية الملكية البريطانية ليكون جنرالاً ينقلب على رفاقه بانْقلاب، ولم يكن رئيس حزب يتآمرُ مع مخابرات دولية لكي يتسلم مقاليد الحكم، أو يزور الانتخابات لكي يفوز ويتحكم برقاب عباد الله، ولم يعرف عنه انه رجل دين او عالم فقه أو امام معصوم، بل كان انسان (ملئ هدومه) كما يقول الاخوة المصريين، إنسانٍ عفويٍ حكيمٍ مخلصٍ لنفسه ولقيمه وللوطن الذي ينتمي له، أنه الإنسانُ زايد، الذي تعجب ذّات يوم من أن لا يكون لفردٍ من أبناء شعبه بيتاً يملكه، ومن هنا بدأت الحكاية، وضع اصبعه على مكمن الجرح في هذه الأوطان التي تفتقد للانتماء اليها كمسكن، من هنا كانت النبضة الأولى بل القدحة التي اطلقت فيما بعد مسبار الامارات الى المريخ!

أنه الانتماء للوطن بملكية دار السكن!

وما بين دار السكن والانتماء للوطن تسلل الروائي جورج أورويل الى الفناء الداخلي للدار ليدرك أي مواطن يسكن فيه وتحت أي حكم يعيش في هذا الوطن المقهور بكاميرات وعيون روايته (السيد الرئيس) المزروعة في كل الشوارع والازقة وربما حتى في غرف النوم، حتى أدرك في روايته 1984 شكل الأنظمة التي تحكم هذه الشعوب المغموسة بالتاريخ وفتوحاته وسبياه، ثم ما لبث أن أسس مملكته أو جمهوريته بعد تلك الرواية في (مملكة الحيوان)، لكي يعطينا نموذجاً لمن يحكم بلداننا خارج دائرة الإنسان.

في دول الوطن التي خرجت عن جمهوريات اورويل، واكتشفت ان الانسان يبحث في البدء عن مكان يأويه، فكان الكهف ثم تطور حتى أصبح وطن، وفي الوطن كانت الحلقة الاولى في الانتماء، شعر مؤسس دولة الامارات ان البداية في احترام الوطن والانتماء اليه هو سكن يليق به ومدرسة تليق بأطفاله، ومشفى يستدركه اذا مرض، ومستقبل آمن اذا توالت سنين العمر، ومنها انطلقت وفتحت أبو ظبي أبواباً ومسارات إلى العلى، بينما في وطني الذي قامت على اديمه اقدم حضارات البشر، وفي مدينتي بكوردستان العراق التي قال عنها المؤرخ والآثاري الأمريكي سيتون لوئيد في كتابه (انتصار الحضارة) انها احتضنت اقدم من قرية زراعية قبل سبعين الف عام، وعلماء الحضارات يدركون أي انسان هذا الذي بنى دورا للسكن وحقولا يزرع فيها القمح!

ورغم كل ذلك وفي الثالث من آب أغسطس 2014 م انّهارت عند أبوابها حضارة آلاف السنين من تطور الإنسان النوعي والثقافي والسلوكي، بل ونسيت كل معاناة البشرية وتعب علمائها في كل مجالات الحضارة حينما داهمتها مجاميع من المتوحشين الآدميين، لكي يهجموا الدور على سكانيهم ويحرقوا حقولهم وحنطتهم حتى التي تحجرت منذ الاف السنين، قتلوا كل الذكور العزل الذين وقعوا تحت سيطرتهم، واستعبدوا آلافاً من الصبية والأطفال، ولم تشبع غرائز القتل والدمار في دواخلهم فسبوا آلافاً مؤلفة من الصبايا والنساء، في واحدة من أقذر ما شهدته البشرية في العصر الحديث من سلوك تأبى الدواب مِن ممارستها!

وعلى وقع ما حدث وأنا اطالع تنقلات اورويل بين روايتيه 1984 ومملكة الحيوان، ادركت تراكماً تاريخياً من السلوك الاجتماعي والسياسي التي فرضته الأنظمة الحاكمة لبلدي، والتي كانت تعتبر الإنسان المختلف دينياً ومذهبياً وقومياً من الدرجة الثانية أو ربما بدون أي درجة، فهو ما لم يكن عبداً لها لا يساوي حتى ثمن الطلقة التي يعدم بها رمياً بالرصاص والتي كانت تجبى من ذويه، بينما كان الاخرون يعملون من أجل تمليكه داراً للسكن، نعم دارا للسكن، لم نكن نطلب منذ البداية الا دارا للسكن، لكنهم رفضوا ذلك واعتبروه تمردا وعصيانا وانفصالا، فبدأت دوامة العنف ونافورة الدماء طيلة أكثر من سبعين عاما، تصلبت فيها العبرات في الانفال وتاهت الأوطان في حلبجة وتوقفت الحياة في أكثر من خمسة الاف قرية حينما دفنوا سكانها احياءً في صحراوات العراق ليتوقف معها الانتماء!وحينما فشلوا في ابادتنا ومنعنا من بناء دار للسكن، شنوا هجماتهم تحت ظلال راية الإسلام والقرآن، ليؤسسوا من جماجم أطفالنا الدولة الإسلامية في العراق والشام، ويخطفوا اكثر من ستة الاف صبية وامرأة كسبايا بعد أن قتلوا اضعافهم من الرجال والشباب والفتيان، وما تزال اكثر من ثلاثة آلاف امرأة كوردية إيزيدية مسبية ومستعبدة من قبل من ادّعى أنه يمثل الرّب وشرعه ودستوره في مقاتلة غير المسلمين حتى يؤمنوا بدينهم وإلا فدماؤهم مُباحة ونساؤهم مسبية وأطفالهم مستعبدة، لاحظ أننا في العقد الثاني من القرن الواحد والعشرين، والمفجع إن كل هذا حصل أمام مرأى ومسمع كل دول المسلمين ومجتمعاتهم وقادتهم وأئمتهم، ولم نسمع أو نرى رفضاً علنياً ولا تظاهرة مضادة ولا تحريماً لما جرى من أبشع ما شهدته المجتمعات البشرية المعاصرة.كيف إذن لنا أن نتوقع نهوضا لبلد بهذه التراكمات من الجرائم بدءاً من الأنفال والمقابر الجماعية ومروراً باعتبار الكورد من جنس الجن، وانتهاءً بإبادتهم، كونهم من الإيزيديين!؟

لقد كسروا عند أبواب أبو ظبي قيود التاريخ، وارتحلوا الى المريخ، وعند بوابات مدينتي سنجار في كوردستان العراق استوردوا تلك القيود وحطموا بها كل شيء من جماجم الأطفال الى كل ما توهمناه حضارة ومدنية وارتحلوا بهم الى قاع الارض ليتركوا لنا جروحا لن تندمل، ودار سكن مهدد بالحصار وبقطع ارزاق ابنائه دوما!

كفاح محمود كريم
kmkinfo@gmail.com

نجل عبد الحكيم عامر يكشف لـ (الزمان) أسرار خلاف أبيه مع عبد الناصر:

المشير رشّح محمد نجيب لرئاسة تنظيم الضباط الأحرار

القاهرة - مصطفى عمارة

على الرغم من قيادة الزعيم الراحل عبد الناصر لثورة يوليو إلا أن نجاح تلك الثورة أعتمد في المقام الأول على الدور الذي اداه عدد من قادتها ، ويعد المشير عبد الحكيم عامر واحد من ابرز هؤلاء الرجال الذي لعب دورا مؤثرا في نجاحها ، ومن هذا المنطلق كان حوارنا مع السيد جمال عبد الحكيم عامر نجل المشير الذي كشف في حوارنا معه الدور الذي اداه المشير في الثورة وعلاقته بعبد الناصر وأسرار خلافه معه وفيما يلي نص الحوار:

□ متى وكيف بدأت علاقة المشير بعبد الناصر وباقي الضباط الأحرار؟ وكيف توطدت العلاقة بينهما حتى أصبح الصديق المقرب من عبد الناصر ؟

– كانت بداية العلاقة في العسكرية بالمنطقة الشمالية وتوطدت بينهما في السودان عندما كانا يخدمان في جبل الأولياء وكانا يتبادلان الكتب وتوطدت العلاقة بينهما عندما قرر الملك فاروق دخول الجيش المصري حرب فلسطين .

□ كانت قضية الأسلحة الفاسدة من القضايا الرئيسية التي تسببت في الثورة ، فما هي حقيقة تلك الاسلحة خاصة أن حيدر باشا خال المشير كان وزيرا للدفاع وقتئذ ؟

– حيدر باشا كان من أشد المعارضين لقرار الملك دخول حرب فلسطين لأن الجيش المصري لم يكن مستعدا لدخول تلك الحرب ولم يكن له أي صلة بقضية الأسلحة الفاسدة والتي يسأل عنها من قام بشرائها رغم إنها غير صالحة للإستخدام وتسببت في سقوط ضحايا مقابل عمولات حصل عليها .

□ وما هو الدور الذي قام به المشير أثناء الثورة؟

– دور المشير في الاعداد للثوره كان كبير حيث كان فى البداية يرأس شؤون الضباط مما مكنه من معرفته لغالبيه الضباط بحكم موقعه مما مكنه من تجنيد أكبر عدد من الضباط وضمهم للتنظيم وكان لثقه عبد الناصر في عبد الحكيم عامر وقدراته وصلاته الكبيرة فى الجيش حيث إن المشير عبدالحكيم عامر كان ثانى دفعته عندما حصل فرقه أركان حرب وهو برتبه ملازم وهى حاله نادره والاول كان صلاح سالم من الضباط إلاحرار أيضا وبعد ذلك كان أركان حرب اللواء الضارب تحت رئاسة اللواء محمد نجيب وفي حرب 1948 كان على رأس قواته.

واقتحم واحتل مستعمرة ميت سليم من العدو الصهيوني ولقد اصيب خلال هذه العمليه وتم اخلاءه ومن المعروف إن الضابط الذي يصاب فى العمليات لا يعود للحرب ولكنه المشير عاد مره أخري لقواته في الميدان وقام الملك بترقيته استثناءي وأعطاه اعلى وسام في ذلك الوقت وكان الضابط الوحيد الذى تم ترقيته اثناء الحرب على مستوى القوات المسلحة النقطة المهمه فى تلك الإحداث إن عبد الحكيم عامر كان لا يحتاج لعمل ثوره لإنه حقق فى الحرب إنجازا كبيرا وةالترقية للرتب العليا كان ممهد إمامه وكان من عائلة ميسوره ولكنه كانت دوافعه وطنية ونبيلة وكان زملاءه من الضباط يطلقون عليه إسم جاك نسبه إلى جان جاك روسو مفكر الثوره الفرنسية لنبله واخلاقه الكريمه وذلك كان قبل الثورة بالطبع ولقد كلفه مجلس قياده الثوره ومعه ذكريا محيى الدين بوضع خطه الثورة وهى مكتوبة بخط يده وتم التصديق عليها من الضباط الأحرار وليلة الثوره كان هو وعبد الناصر يمرون على الوحدات المشاركة وعند هيئه أركان حرب الجيش شاهدوا أن المبنى مضاء وكانت هناك تحركات بالمبنى فقال والدى لعبد الناصر إن جميع قياده الجيش موجود كلها داخل المبنى مما يؤكد وصول معلومات بتحركات في الجيش وقال عامر إنها فرصه لاعتقالهم جميعا داخل هيئه إلاركان وبالفعل أخذ عامر قوه وعند محاولة اقتحام البوابة رفض عسكرى الحراسه فتح البوابه مما أدي إلى أن أطلق المشير عليه الرصاص وأرداة قتيلا وكان هذا العسكرى الوحيد الذى قتل ليله الثوره وكان من محافظة المنيا ودخل القيادة وقبض على اللواء حسن فريد رئيس إلاركان والضباط الكبار في القيادة مما ترتب عليه من شلل في قياده الجيش .

□ ما هو الدور الذي لعبه لإنهاء التمرد الذي قام به سلاح الفرسان بعد الثورة؟

– تمرد سلاح الفرسان بدء عام 1954 بمطالبة أفراد هذا السلاح بحل مجلس قيادة الثورة واعتقالهم وكتب أعضاء مجلس سلاح الفرسان استقالتهم إلا أن المشير عبد الحكيم عامر رفض ذلك وحاصر مبنى سلاح الفرسان وهدد بضربهم بالقوات الجوية وفي النهاية استسلموا وقتها وقال جمال عبد الناصر أمام الجميع (يا حكيم أنت عملت اللي ما اقدرش اعمله) وقال أنور السادات في كتابه هذا هو عبد الحكيم عامر رجل المهام الصعبة

هناك آراء متضاربة حول الخلاف بين عبد الناصر ومحمد نجيب ، فكيف كانت وجهة المشير في هذا الخلاف؟

المشير عبد الحكيم عامر هو الذي رشح اللواء محمد نجيب لقيادة تنظيم الضباط الأحرار نظرا لمعرفته الوثيقة به لأنه كان يشغل أركان حربه وكان المرشح لهذا المنصب لواء أعتقد أن إسمه صادق ، وفي النهاية تمت الموافقة على ترشيح المشير للواء

محمد نجيب ومن شدة حب نجيب للمشير كان يقول (لو فتحتوا قلبي هتلاقوا المشير بداخله)إلا أن الصراع انفجر بين عبد الناصر ونجيب لأن عبد الناصر كان يعتبر نفسه صاحب الثورة أما نجيب فكان ترشيحه ناتج لأنه ضابط برتبة كبيرة أما بقية ضباط الثورة فكانوا صغار السن .

□ ما هي حقيقة علاقة عبد الناصر بجماعة الإخوان المسلمين ؟

– عبد الناصر كانت له علاقة وثيقة بجماعة الإخوان المسلمين واجتمع معهم مرات عديدة ولم يحضر المشير أي من تلك الإجتماعات وكان عبد الناصر يعرف أنهم أكبر قوة فاعلة لذا حاول استمالتهم وحل كل الأحزاب فيما عدا جمعية الإخوان المسلمين الذين شاركوا بكتائب في حرب فلسطين وحرب السويس وبعد أن أستتب له الأمر قضى عليهم .

□ وهل ترى أن ترقية المشير إلى تلك الرتبة أحدث انقساما داخل مجلس قيادة الثورة خاصة أن بعض الضباط رأى أنه ليس أحق بتلك الرتبة؟

– الترقية الاستثنائية أمر موجود في جيوش العالم ولم تكن بدعة في مصر وتاريخ المشير يؤكد أنه يستحق تلك الترقية فلقد كلفه مجلس قيادة الثورة بتولي إدارة شئون الجيش خاصة أن محمد نجيب لم يكن لديه الوقت الكافي لأنه كان رئيس للجمهورية وكان من الطبيعي أن يتولى أحد الضباط الأحرار تلك المهمة ولقد وقع الإختيار على المشير نظرا لتاريخه المشرف في حرب 1948 وثانيا لأنه كان ثاني دفعته في كلية أركان الحرب وتم تعيينه أركان حرب اللواء الضارب وهو أقوى لواء في الجيش المصري حيث عرف بخبرته وقدرته على الضبط.

كما قام بتنظيم الجيش وإعادة هيكلته وإرسال البعثات العسكرية لتأهيل الضباط إلى روسيا والذي تولى عدد منهم القيادة فيما بعد كالمشير أحمد بدوي وإسماعيل علي وحسن أبو سعدة وجلال هريدي وغيرهم وإنشاء سلاح الصاعقة والمظلات وهيئة التسليح وتم تسليح الجيش بالأسلحة والصناعات العسكرية والصواريخ وتصنيع الطائرة المقاتلة القاهرة 300 التي صنعت في مصر بمساعدة خبراء من المانيا وطوروا نموذجا طائرة منها في معرض برلين .

□ متى بدأت الخلافات الحقيقية بين عبد الناصر والمشير حتى إنتهت إلى تلك النهاية المأساوية ؟

– أما عن الترقيه الاستثنائية فهو أمر موجود في جيوش العالم والخلاف بين المشير وعبد الناصر بدء قبل حرب 1956أو حرب السويس عندما ابلغ عبد الناصر المشير عبدالحكيم عامر قبل قيامه بتاءميم قناه السويس بأسبوع واعترض المشير بشده للعواقب الخيمه لقيام حرب تدمر البلد وعدم قدره الجيش المصري على مواجهه هذه الجيوش خاصه لم إلا ٤ سنوات على قيام الثورة وكانت إلاسلحه التى في جوزة الجيش من مخلفات الجيش الإنجليزي وصفقه إلاسلحة التشيكيه وبعد الحرب استقال المشير ولكن عبد الناصر أقنعة بالبقاء الاستقالة الثانية سنة 1962 وهى أول استقالة مسببه في عصر عبد الناصر حيث كانت الخلافات في أشدها وكانت الاستقاله إلاخيره سنه 1967وما تبع ذلك من قتل المشير كما ثبت في القضيه وخلال تلك الفترة تم اغتيال معنويا بعد قتله من الاعلام وعلى راسهم حسنين هيكل الذي إدار هذه الحمله على مدار سنين طويلة ولقد اتهمته في القضية بالتحريض على قتل المشير وطلبت من النيابة استدعاءه للتحقيق وكل ذلك لتحميل كارثة 1967وتبرءه عبد الناصر من المسؤولية.

□ في النهاية ماهي وجهة نظرك في الأسباب التي أدت إلى عدم تحقيق ثورة يوليو لأهدافها التي وضعتها خاصة فيما يتعلق بإقامة حياة ديمقراطية سليمة ؟

– لم تحقق الثوره اهدافها لاصرار عبد الناصر الانفراد بالسلطة والغاء مجلس قياده الثورة والتخلص منهم للانفراد بالسلطه وكان لا يطيق إن يعارضه أحد وكما قال ابى في مذكراته لقد تغيرت شخصية جمال عن بداية الثورة وكان يبحث عن مجدة الشخصى فقط .

جمال نجل المشير عبد الحكيم عامر